

ترجمة ثانية للفيروزآبادى، عن الضوء اللامع للسخاوى

قال بعض حفاظ المشاركة، وهو الإمام السخاوى فى كتابه «الضوء اللامع»^(١):

هو محمد بن يعقوب بن ابراهيم، بن عمر، بن أبى بكر، بن أحمد، ابن محمود، بن إدريس، بن فضل الله، بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم الكارزنى، المشهور بمولانا الشيخ مجد الدين، الفيروزآبادى، اللغوى الشافعى. ولد فى ربيع الآخر سنة [تسع و] ^(٢) عشرين وسبع مئة بكارزين، فنشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبع، وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان، فأخذ الأدب واللغة عن والده، ثم عن القوام عبد الله بن محمود بن النجم، وغيرهم من علماء شيراز، وانتقل إلى العراق، فدخل واسط وبغداد، وأخذ عن الشرف عبد الله بن بكتاش، وهو قاضى بغداد، ومدرس النظامية بها، وولى به تداريس وتصادير، وظهرت فضائله، وكثر الأخذ عنه، فكان ممن أخذ عنه الصفدى. ثم دخل القاهرة و[لقى بها] ^(٢) البهاء بن عقيل، والجمال الأسنوى، وابن هشام. وأخذ عن علمائها، وجال فى البلاد المشرقية والشمالية، ودخل الروم والهند، ولقى جمعاً من الفضلاء، وحمل عنهم شيئاً كثيراً تجمعهم مشيخته، تخريج الجمال بن موسى المراكشى، وفيه أن [من] ^(٢) مرويته الكتب الستة، وسنن البيهقى، ومسند أحمد وصحيح ابن حبان، ومصنف ابن أبى شيبة، وغير ذلك، غير مشايخ عديدة، وجم غفير.

ثم دخل زبيد فى رمضان سنة ست وتسعين، بعد وفاة قاضى الأقضية باليمن كله، الجمال الريمى شارح التنبيه فتلقاه الأشرف إسماعيل [بالقبول] ^(٢)

(١) الضوء اللامع ج ١٠ ص ٧٩.

(٢) التكملة عن الضوء اللامع.

وبالغ فى إكرامه وصرف له ألف دينار سوى ألف أخرى أمر ناظر عدن أن
يجهزه بها، واستمر مقيماً فى كنفه على نشر العلم، وكثر الانتفاع به،
وأضيف إليه قضاء اليمن كله فى ذى الحجة سنة سبع وتسعين، بعد ابن
عجيل، فارتفق بالمقام فى تهامة، وقصده الطلبة، وقرأ السلطان فمن دونه،
عليه فاستمر بزيد مدة عشرين سنة وهى بقية أيام الأشرف، ثم ولد الناصر
أحمد. وكان الأشرف قد تزوج ابنته لمزيد جمالها ونال منه برا ورفعة، بحيث
إنه صنف كتاباً وأهداه له على أطباق، فملأها له دراهم، وفى أثناء هذه المدة
قد مكة مراراً، وجاور بالمدينة والطائف، وعمل بها مآثر حسنة، وكان يحب
الانتساب إلى مكة ويكتب بخطه: «الملتجئ إلى حرم الله تعالى» ولم يدخل
بلداً إلا وأكرمه متوليها، وبالع فى تعظيمه، مثل شاه منصور بن شجاع
صاحب تبريز، والأشرف صاحب مصر، والسلطان بايزيد خان بن عثمان
متولى الروم، وابن أويس صاحب بغداد، وتمرنك وغيرهم.

واقتنى كتباً كثيرة حتى نقل عنه أنه قال: اشتريت بخمسين ألف مثقال
[ذهباً]^(١) كتباً. ولا يسافر إلا وفى صحبته منها أحمال، ويخرجها فى كل
منزل وينظر فيها. وصنف كتباً كثيرة منها: «بصائر ذوى التمييز فى لطائف
الكتاب العزيز» مجلدان و«تنوير المقباس فى تفسير ابن عباس» أربع مجلدات
و«تيسير فائحة الإهاب فى تفسير فاتحة الكتاب» مجلد كبير و«الدر النظيم
المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم» و«حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة
الإخلاص» و«شرح خطبة الكشف» و«شوارق الأسرار العلمية فى شرح
مشارك الأنوار النبوية» أربع مجلدات و«منح البارى بالسيل الفسيح الجارى فى

(١) التكملة عن الضوء اللامع.

شرح صحيح البخارى» كمل ربع العبادات منه فى عشرين مجلدا و«الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد» ثلاث مجلدات و«النفحة العنبرية فى مولد خير البرية» و«الصلوات والبشر فى الصلاة على خير البشر» و«الوصل والمنى فى فضل منى» و«المغانم المطابة فى معالم طابة» و«مهيج الغرام إلى البلد الحرام» و«إثارة الحجون لزيارة الحجون» عمله فى ليلة و«أحسن اللطائف فى محاسن الطائف» و«فصل الدرة من الخرزة فى فضل السلامة على الخبزة» قريتان بالطائف و«روضة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر» و«المراقبة الوفية فى طبقات الحنفية» و«البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة» و«الفضل الوفى فى العدل الأشرفى» و«نزهة الأذهان فى تاريخ أصبهان» و«تعيين الغرفات للمعين فى عين عرفات» و«منية السؤل فى دعوات الرسول» و«التجاريح فى فوائد متعلقة بأحاديث المصاييح " و«تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة فى جامع الأصول» و«الأحاديث الضعيفة» و«الدر الغالى فى الأحاديث العوالى» و«سفر السعادة» و«المتفق وضعا المختلف صنعا» و«اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعباب وزيادات امتلأ بها الوطاب» قدر تمامه فى مئة مجلد يقرب كل مجلد منه من صحاح الجوهرى أكمل منه خمس مجلدات و«القاموس المحيط والقابوس الوسيط» و«مقصود ذوى الألباب فى علم الأعراب» مجلد، و«تجسير الموشين فيما يقال بالسین والشين» تتبع فى أوهام المجمال لابن فارس فى ألف موضع و«المثلث الكبير» فى خمس مجلدات و«الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألف» و«تحفة القماعيل فيمن يسمى من الملائكة والناس إسماعيل» و«أسماء السراح فى أسماء النكاح» و«الجلس الأئيس فى أسماء الخندريس» مجلد و«أنوار الغيث فى أسماء الليث» و«ترقيق الأسل فى تصفيق العسل» فى كراسين و«زاد المعاد فى وزن بانة سعاد»

وشرحه فى مجلد و«التحف الظرائف فى النكت الشرائف» وغير ذلك من مختصر ومطول.

وقال التقى الكرماني: كان عديم النظر فى زمانه نظماً ونثراً، بالفارسي والعربي، جال البلاد، واجتمع بمشايع كثيرة، وأقام بدهلك مدة عظيمة سلطانها وجاور بمكة عشرين سنة، وصنف بها القاموس فى مجلدات، فأمره والدى باختصاره فاختصره فى مجلد ضخّم، وفيه فوائد عظيمة، واعتراضات على الجوهري، وسافر إلى الهند والروم وعظّمه سلاطينها، واجتمع بتمرلنك فعظمه، وأنعم عليه بمائة ألف درهم.

وقال الخزرجي فى تاريخ اليمن: إنه لم يزل فى ازدياد من علو الجاه والمكانة، ونفوذ الشفاعات والأوامر على القضاة فى الأمصار.

ورام عام تسعة وتسعين الوصول إلى مكة شرفها الله فكتب إلى السلطان ما مثاله:

«ومما ننهيهِ إلى العلوم الشريفة، ضعف العبد، ورَقَّة جسمه، ودقة بنيته، وعلو سنه، وقد آل إلى أن صار كالمسافر الذى تحزم وانتعل، إذ وهن العظم والرأس اشتعل، وتضعضع السن، وتقعقع الشن، فما هو إلاّ عظام فى جراب، وبنيان قد أشرف على الخراب، وقد ناهز العشر التى تسميها العرب دقائق الرقاب، وقد مر على المسامع الشريفة غير مرة فى صحيح البخارى قول رسول الله ﷺ: إذا بلغ المرء ستين سنة فقد أعذر الله إليه فكيف من ينيف على السبعين وأشرف على الثمانين؟ ولا يجمل بالمؤمن أن يمضى عليه أربع سنين ولا يتجدد له شوق [وعزم]^(١) إلى بيت رب العالمين، وزيارة سيد المرسلين. وقد ثبت فى الحديث النبوى ذلك، والعبد له ست سنين بعيداً عن

(١) التكملة عن الضوء اللامع.

تلك المسالك، وقد غلب عليه الشوق، حتى جل عمره عن الطوق، ومن أقصى أمنيته، أن يجدد العهد بتلك المعاهد، ويفوز مرة أخرى بتلك المشاهد، وسؤاله من المراحم العلية، الصدقة عليه بتجهيزه فى هذا العام قبل اشتداد الحر وغلبة الأوام، فإن الفصل أطيب، والريح أذيب، وأيضاً كان من عادة الخلفاء سلفاً وخلفاً، أنهم كانوا يبردون البريد لتبليغ سلامهم لحضرة سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، فاجعلنى، جعلنى الله فداك ذاك البريد فلا أتمنى شيئاً سواه ولا أريد.

شوقاً إلى الكعبة الغراء قد زاداً فاستحمل القلص الوحادة الزادا
واستأذن الملك المنعم زيد علا واستودع الله أصحاباً وأولاداً
فلما وصل كتابه إلى السلطان كتب على طرته ما مثاله: «إنَّ هذا الشئ
ما ينطق به لسانى، ولا يجرى به قلمى، فقد كانت اليمن عمياء فاستنارت،
فكيف يمكن أنْ نتقدم وأنت تعلم أنَّ الله قد أحيا بك ما كان ميتاً من العلم؟
فبالله عليك إلاَّ ما وهبت لنا بقية هذا العمر. والله يا مجد الدين يمينا بارة،
إنى أرى فراق الدنيا ونعيمها، ولا فراقك أنت اليمن وأهله.

قال الفاسى: له شعر كثير، ونثره أعلى، وكان الاستحضار لمحسنات
الشعر والحكايات، وله خط جيد مع السرعة، وكان كثير الحفظ حتى يقال إنه
قال: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتى سطر، وكانت له دار بمكة على الصفا
عملها مدرسة للأشرف صاحب اليمن، وقرر بها مدرسين وطلبة، وفعل
بالمدينة كذلك، وله بمنى دور، وبالطائف بستان، وقد سارت الركبان بتصانيفه
لا سيما القاموس فإنه أعطى قبولاً كثيراً.

قال الأديب المفلق نور الدين بن محمد العفيف المكي الشافعي لما قرأ عليه القاموس:

مذمَّدَ مجد الدين في أيامه من فيض أبحر علمه القاموسا
ذهبت صحاح الجوهري كأنها سحر المدائن حين ألقى موسى
ومن شعره مما كتبه عنه الصلاح الصفدي رحمه الله:

أحبتنا الأماجد إن رحلت ولم ترعوا لنا عهدا وإلا
نودَّعكم ونودَّعكم قلوبا لعل الله يجمعنا وإلا
وكان يرجو وفاته بمكة المشرفة فما قدر الله له ذلك بل توفي بزبد وقد
ناهز التسعين، وهو ممتع بحواسه، وذلك ليلة العشرين من شوال سنة سبع
عشر وثمان مئة تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنته. انتهى ملخصا
من الضوء للسخاوي رحمه الله.

ولأبي عبد الله الفيومي يمدح القاموس المذكور:

لله قاموس يطيب وروده أغنى الوري عن كل معنى أزهر
لفظ الصحاح بلفظه والبحر من عاداته يلقي صحاح الجوهري

وقال عبد الرحمن بن معمر الواسطي في رموزه:

وما فيه من رمز بحرف فخمسة فميم لمعروف وعين لموضع
وجيم لجمع ثم هاء لقرية وللبلد الدال التي أهملت فع
وأنشدنا فيه غيره، سيدنا ومولانا شيخ الشيوخ، وخاتمة أهل الثبت
والرسوخ، ملحق الأحفاد بالأجداد، المبرز على النظراء والأنداد، مفتي

تلمسان وأصقاعها، ومعتد أهل أقطارها وبقاعها، عمنا سيدى سعيد بن أحمد المقرئ، صب الله عليه شآبيب رضوانه، آمين:

ألا ما لهذا فى اللغات مشابه فما هو إلا كاسمه زاخر بحر
أحاط بما يحوى سواه وفاقه بمبدع لفظ مع لغات بها كثر
جزى الله خيرا من تصدى لجمعه وآتاه فضلا زاد ما اتصل الدهر
قلت: هذه الأبيات لتقى الدين الواسطى، نظمها تجاه الكعبة المشرفة.
وأنشدنى أيضاً رحمه الله تعالى وكتبها بخطه:

وما جاء القاموس رمزا فسته لموضعهم عين، ومعروف الميم
وجج لجمع الجمع، دال لبلدة وقرتهم هاء، وجمع له الجيم
انتهى.

قلك: ومن أغرب ما منح الله تعالى المجد مؤلف القاموس المذكور أنه
قرأ بدمشق بين باب النصر والفرج تجاه بغل النبى ﷺ على ناصر الدين أبا
عبد الله محمد بن جهبل صحيح مسلم فى ثلاثة أيام وتبجح فقال:

قرأت بحمد الله جامع مسلم بجوف دمشق الشام جوفاً لإسلام
على ناصر الدين الإمام بن جهبل بحضرة حفاظ مشاهير أعلام
وتم بتوفيق الإله بفضلته قراءة ضبط فى ثلاثة أيام
فسبحان المانح الذى يؤتى فضله من يشاء.

ترجمة الثالثة للفيروزآبادى، عن إنباء الغمر لابن حجر

وبعد أن كتبت هذه الترجمة وقفت على كلام تلميذه الإمام ابن حجر «إنباء الغمر بأنباء العمر» فأوردته هنا وإن كان مخالفاً فى بعض المواقع لما قدمته، إذ لا يخلو من فائدة ونصه:

محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الشيرازى، الشيخ العلامة مجد الدين أبو الطاهر الفيروزآبادى كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازى صاحب التنبيه، ويذكر أن بعد عمر أبا بكر بن أحمد بن أحمد بن فضل الله ابن الشيخ أبى إسحاق. ولم أزل أسمع مشاهير مشيخنا يطعنون فى ذلك مستندين إلى أن الشيخ أبا إسحاق لم يعقب.

ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة، فادعى بعد أن ولى قضاء اليمن بمدة طويلة، أنه من ذرية أبا بكر الصديق رضى الله عنه. وزاد إلى أن رأيت بخطه لبعض نوابه فى بعض كتبه: «محمد الصديقى» ولم يكن مدفوعاً عن معرفة إلا أن النفس تأبى قبول ذلك.

ولد الشيخ مجد الدين سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارزين، وتفقه ببلاده، وسمع بها من محمد بن يوسف الزرندى المدنى صحيح البخارى، وعلى بعض أصحاب الرشيد بن أبى القاسم، ونظر فى اللغة فكانت جل قصده فى التحصيل، فمهر فيها إلى أن تميز وفاق أقرانه، ودخل الديار الشامية بعد الخمسين فسمع بها، وظهرت فضائله، وكثر الأخذون عنه، ثم دخل القاهرة، ثم جال فى البلاد الشمالية والشرقية، ودخل الهند، وعاد منها على طريق اليمن، قاصداً مكة المشرفة، ودخل زبيد، فتلقاء الملك الأشرف إسماعيل بالقبول، وكان ذلك بعد وفاة جمال الدين الريمى قاضى الأقضية باليمن كله، فقرره الأشرف مكانه، وبالع فى إكرامه، فاستقرت قدمه بزبيد،

واستمر فى ذلك إلى أن مات. وقدم هذه المدة مكة مرارا وأقام بها وبالطائف، ثم رجع وصنف القاموس المحيط فى اللغة لا مزيد عليه فى حسن الاختصار، وميز فيه زياداته على الصحاح، بحيث لو أفردت لكنت قدر الصحاح وأكثر، فى عدد الكلمات وقرئ عليه. وكان أولا ابتداء بكتاب كبير فى اللغة سماه: «اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعباب» وكان يقول: لو كمل لكان مئة مجلد. وذكر عنه الشيخ برهان الدين الحلبي أنه تتبع أوهام المجمل لابن فارس فى ألف موضع وكان مع ذلك يعظم ابن فارس ويشنى عليه.

وقد أكثر المجاورة بالحرمين الشريفين، وحصل دنيا طائلة، وكتبا نفيسة، لكنه كان كثير التبذير، وكان لا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب، ويخرج أكثرها فى كل منزل فينظر فيها، ويعيدها إذا رحل، وكان إذا أملق باعها. وكان الأشرف كثير الإكرام له حتى إنه صنف له كتابا وأهداه له على أطباق فملأها له دراهم، وصنف للناصر كتابا سماه: «تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول» و«الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد» فى أربعة أسفار، وشرع فى شرح مطول على البخارى ملأه بغرائب المنقولات، وذكر أنه بلغ عشرين سفرا. إلا أنه لما اشتهرت باليمن مقالة ابن عربى ودعا إليها الشيخ إسماعيل الجبرتي وغلب على علماء تلك البلاد، صار الشيخ مجد الدين يدخل فى شرح البخارى من كلام ابن عربى فى الفتوحات ما كان سببا لشين الكتاب المذكور.

ولم أكن أتهم الشيخ بالمقالة المذكورة إلا أنه كان يحب المداراة. وكان الناشئ، فاضل الفقهاء بزييد، يبالغ فى الإنكار على إسماعيل، وشرح ذلك يطول. ولما اجتمعت بالشيخ مجد الدين أظهر لى إنكار مقالة ابن عربى

وغيض منها، ورأيته يصدق بوجود رتن الهندي، وينكر على الذهبي قوله في الميزان إنه لا وجود له. قال الشيخ مجد الدين: إنه دخل قريته ورأى ذريته وهم مطبقون على تصديقه، وقد أوضحت ذلك في ترجمة «رتن» من كتاب الإصابة.

ومن تصانيفه: «شوارق الأسرار في شرح مشارق الأنوار» و«الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألف» و«تحرير الموشين فيما يقال بالسين والشرين». وكان يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر، ولم يقدر له قط أنه دخل بلدة إلا وأكرمه متوليها وبالغ في إكرامه، مثل شاه شجاع صاحب تبريز، والأشرف صاحب اليمن، وابن عثمان صاحب التركية، وأحمد بن أويس صاحب بغداد وغيرهم، ومتعته الله بسمعه وبصره إلى أن مات.

سمع الشيخ مجد الدين من ابن الجبار، وابن القيم، وابن الحموي، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوي، وأحمد بن مطر النابلسي، والشيخ تقي الدين السبكي، ويحيى بن علي بن مجلي بن الحداد، وغيرهم بدمشق في سنة نيف وخمسين، وبالقدس من العلائي، والبياني، وبمصر من القلانسي، ومظفر الدين، وناصر الدين التونسي، وابن نباتة، والفارقي، والعرضي، والعز بن جماعة. وبمكة من خليل المالكي، والتقي الحرازي، ولقي غيرها من البلاد جمعا جما من الفضلاء وحمل عنهم شيئا كثيرا، وخرج له الجمال المراكشي مشيخة، واعتنى بالحديث.

اجتمعت به بزييد، وفي وادي الخصيب، وناولني جل القاموس، وأذن لي مع المناولة أن أرويه عنه، وقرأت عليه من حديثه عدة أجزاء، وسمعت منه المسلسل بالأولية لسماعه من السبكي، وكتب لي قريظا على بعض تخريجاتي، أبلغ فيه، وأنشدني لنفسه في سنة ثمان مئة بيتين، كتبهما عنه

الصلاح الصفدى، فى سنة سبع وخمسين بدمشق، وبين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة، رحمه الله :

أخـلانا الأماجد إن رحلتـم ولم ترعوا لنا عهدا وإلا
نودّعكم ونودّعكم قلوبا لعل الله يجمعنا وإلا
مات رحمه الله تعالى فى ليلة العشرين من شوال وهو ممتع بحواسه وقد
ناهر التسعين .

انتهى كلام ابن حجر فى ترجمته سنة سبع عشرة وثمان مئة من «إنباء
الغمر بأنباء العمر» .



ووجدت فى بعض المقيدات بخط بعض الفضلاء ممن يوثق بدينه وعلمه
من أهل عصرنا ما نصه: سئل شيخ الإسلام الشيخ مجد الدين الفيروزابادى
رضى الله عنه صاحب كتاب القاموس فى اللغة بما نصه: ما يقول سيدنا
ومولانا شيخ الإسلام فى الكتب المنسوبة إلى الشيخ محى الدين بن عربى
كالفوتوحات والفصوص، هل تحل قراءتها وإقراؤها ومطالعتها؟ وهل هى من
الكتب المسموعة المقروءة أم لا؟ فقال رضى الله عنه: الذى أقول وأتحققه
وأدين الله به: أنَّ الشيخ محى الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلماء وإمام
التحقيق حقيقة ورسماء، ومحى رسوم العارفين فعلا واسما:

إذا تغلغل فكر المرء فى طرف من بحر غرقت فيه خواطره
فهو بحر لا تدركه الدلاء، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء، كانت
دعواته تخرق السبع الطباق، وتفترق بركتها فتملأ الآفاق، وإنى أصفه وهو
يقينا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبه، وغالب ظنى أنى ما أنصفته:

وما على إذا ما قلت معتقدي دع الجهول يعد العدل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن أقامه حجة للدين برهانا
إنّ الذي قلت بعض من مناقبه ما زدت إلاّ لعلّ زدت نقصانا
وأما كتبه ومصنفاته فهي البحار الزواخر، ما وضع الواضعون مثلها.
انتهى. وباقي الجواب سقط سهل الله كماله.

قلت: ولما جرى ذكر الشيخ بن عربي الحاتمي، فلا بأس من أن نلم
ببعض حاله فنقول:

قال ابن خاتمة^(١):

محمد بن علي الطائي بن عربي الصوفي، من أهل إشبيلية، وأصله من
سبته، يكنى أبا بكر ويعرف بابن عربي، وبالحاتمي أيضاً.

أخذ عن مشيخة بلده، ومال إلى الأدب، وكتب لبعض الولاة
بالأندلس، ثم رحل إلى المشرق حاجاً، فأدى الفريضة، ولم يعد بعدها إلى
الأندلس، وسمع الحديث من أبي القاسم الحرستاني^(٢) وغيره وسمع صحيح
مسلم من الشيخ أبي الحسن ابن أبي نصر في شوال سنة ست وست مئة،
وكان يحدث بالإجازة العامة عن أبي طاهر السلفي، ويقول بها، وبرع في
علم التصوف وله في ذلك تواليف كثيرة منها: «ملاك التأويل وحقائق
التنزيل» و«الجدوة المقتبسة والخطوة المختلصة» و«كتاب المعارف الإلهية» و«كتاب
الإسرا إلى المقام الأسرى» و«كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم»
و«كتاب عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب» و«كتاب في
فضائل شيخه عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، والرسالة الملقبة
«بمشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية» في كتب أخر عديدة.

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) تحرف في المطبوع إلى: «الخرستاني» بالخاء المعجمة وصوابه من النفع.

وقدم على أَلَمَرِيَّةَ من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم.

قال الأستاذ أبو جعفر: ولا نسلم له جميع مقالاته وموضوعاته، وإن كان لعلوه في الإعراب، قد تكلم من وراء حجاب، وتحصن من الرمز، بسند منيع الحرز، ففي الإشارة الراجحة الدليل، ما يقوم مقام العبارة الواضحة السبيل.

ولقد حكى لى بعض ثقات أصحابنا، عمن لقي من كبار شيوخ أهل العلم أنه كان يطعن عليه، ويرميه بوهن، وينسبه إليه، والله أعلم بحقيقة ذلك، إذ كل كلام يغلب المجاز والاستعارة عليه من غير قرينة فهو مُتَشَبِّه المسالك. وعلى الجملة فهو الذى جرأ على نفسه لمآخذه المظلمة المدارك المشوشة على السالك.

قال ابن الأبار: وقد لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين، وأخذوا عنه، وتوفى بعد الأربعين وست مئة.

ذكر ابن الأبار وقال: أفادنى بعض أصحابنا أنه أجاز إجازة عامة لمن أحب الرواية عنه. انتهى كلام ابن خاتمة.

والذى عند كثير من الأخيار من أهل هذه الطريقة، التسليم لهم، ففيه السلامة وهو أحوط من إرسال العنان، وقول يعود على صاحبه بالملامة.

وما وقع لأبى حيان وابن حجر فى تفسيره، من إطلاق اللسان فى هذا الصّدِّيق وأنظاره، فذلك من فلس الشيطان. والذى أعتقده ولا يصح غيره، أن الإمام ابن عربى، ولى صالح، وعالم ناصح، وإنما فوق إليه سهام الملامة من لم يفهم كلامه.

على أنه دست فى كتبه مقالات يجلى قدره عنها، وقد تعرض من المتأخرين ولى الله الربانى، سيدى عبد الوهاب الشعرانى، نفعنا الله تعالى ببركته، لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق، وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدور أهل التحقيق، فليطالع ذلك من أراده، والله ولى التوفيق.

التجديد والمجددون

قلت: وإذ قد تقدم أمر التجديد أواخر القرن الثامن فيما جلبناه فى التعريف المنقول آنفاً، ناسب أن نذكر نظم إمام الدنيا جلال الدين السيوطى المسمى «بتحفة المهتدين بأسماء المجددين» ونصه:

الحمـد لله العـظيم المنه	المانح الفضل لأهل السنه
ثم الصلاة والسلام نلتـمس	على نبى دينه لا يندرس
لقد أتى فى خبر مشتهر	رواه كل حافظ معتبر
بأنه فى رأس كل مائة	يبعث ربنا لهدى الأمة
منا عليها عالماً يجدد	دين الهدى لأنه مجتهد

قلت: اختلف الناس فى المراد بالمجدد، فقليل من العلماء، وقيل من الأولياء، وقيل من الملوك، ولكل حجة مذكورة فى محلها. وسمعت شيخنا الإمام بقية الناس سيدى أحمد بابا السودانى التنبكتى، أبقى الله جلاله، وأدام عزته، وحفظ خلاله، يقول إن ذلك يكون فى كل قطر بحسبه، وليس من شرطه أن يعم الدنيا أو غالبها، والله أعلم.

ولأجل ذلك قال أبقاه الله في رجزه في هذا المعنى حيث ذكر
المجديدين . قال في العاشر ما نصه :

وعاشر القرون فيه قد أتى محمد إمامنا وهو الفتى
يعنى به الشيخ العلامة سيدى محمد بغيع رحمه الله . ولا خفاء أن هذا
منه أبقاه الله بناء على اعتبار كل قطر على حدة ، إذ هذا الشيخ الذى جزم
بتجديده إنما هو فى صقع تنبكت وجاغو . وأما بلاد المغرب وغيرها فلا ، وهو
مخالف لما عند السيوطى فى هذا النظم كما تراه قريباً . والله تعالى أعلم
بالصواب .

ولنرجع إلى كلام الإمام الجلال السيوطى ، رحمه الله تعالى ، قال :

فكان عند المائة الأولى عمر	خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعى كان عند الثانيه	لما له من العلوم الساريه
وابن شريح ثالث الأئمه	والأشعري عده من أمه
والباقلانى رابع أو سهل أو	الاسفراينى خلافا قد حكموا
والخامس الحبر وهو الغزالى	عدة ما فيه من جدال
والسادس الفخر الإمام الرازى	والرافعى مثله يوازى
والسابع الراقى إلى المراقى	ابن دقيق العيد باتفاق
والثامن الحبر هو البلقينى	أو حافظ الأنام زين الدين
وعد سبط الميلق الصوفيه	لو وجدت مئته وفيه
والشرط فى ذلك أن تمضى المائة	وهو على حياته بين الفئه

يشار بالعلم إلى مقامه وينصر السنة في كلامه
 وأن يكون جامعاً لكل فن وأن يعم علمه أهل الزمن
 وأن يكون في حديث قد روى من أهل المصطفى وهو قوى
 وكونه فرداً وهو المشهور قد نطق الحديث والجمهور
 وهذه التاسعة المئين قد أتت ولا يخلف ما الهادى وعد
 وقد رجوت أنى المجدد فيها ففضل الله ليس يجحد
 وآخر المئين فيها ياتى عيسى نبي الله ذو الآيات
 يجدد الدين لهذه الأمم وفى الصلاة بعضنا قد أمه
 مقررنا لشرعنا ويحكم بحكمنا إذ فى السماء يعلم
 وبعده لم يبق من مجد ويرفع القرآن مثل ما بدى
 وتكثر الأشرار والإضاعة من رفيعه إلى قيام الساعة
 وأحمد الله على ما علما وما جلا من الخفاء والعمى
 مصليا على النبي الرحمة والآل مع أصحابه المكرمه

انتهى وليكن هذا آخر هذه الترجمة، والله ولى التوفيق، لا رب غيره،
 ولا معبود سواه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 تسليماً.